

النزعة الفكرية في منهج الإمام ابن تيمية

د. عالية سليمان سعيد العطروز

جامعة القاسمية - الشارقة

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الارسال:
2020/06/15	2020/06/01	2020/04/12

الملخص:

موضوع هذه الدراسة هو: (النزعة الفكرية في منهج الإمام ابن تيمية)، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

فأما المبحث الأول فقد خصصته للحديث عن السيرة الذاتية للإمام ابن تيمية. فبسطت القول في نشأته، ودراسته، وعلمه، ومؤلفاته، وما برع به.

وأما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن محنة القول في القرآن الكريم. وأما المبحث الثالث فقد خصصته للوقوف على المنهج الفكري عند الإمام ابن تيمية.

وأما الخاتمة فقد ذكرتُ فيها أبرز النتائج التي خرجتُ بها من هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: النزعة الفكرية - المنهج - محنة ابن تيمية - الفكر - دراسات نقدية

Abstract:

The subject of this study is: (Intellectualism in the approach of Imam Ibn Taymiyyah), and this study came in the introduction, and three investigations, and the conclusion.

As for the first topic, I devoted it to the biography of the Imam Ibn Taymiyyah, so I began to say in its inception, its study, its knowledge, its writings, and what it excelled in.

As for the second topic, I spoke about the ordeal of saying in the Holy Quran. As for the third topic, it was devoted to the study of the intellectual approach of Imam Ibn Taymiyah.

As for the conclusion, I mentioned the most prominent results from this study.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

يكتظ تاريخنا الإسلامي بالكثير من سير الإبطال والعظماء الذين دافعوا عن هذا الدين، فأعز الله بهم الإسلام، وحفظ بهم دينه. ومن بين هؤلاء العظماء، الإمام الجليل ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، الذي تعرض في حياته إلى الكثير من المحن والابتلاءات في سبيل هذا الدين، فكان لصموده أمام أهل البدع والفرق المختلفة الأثر الأكبر في حفظ عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد رأيت أن أخصص هذا البحث للحديث عن هذه الشخصية العظيمة متناولة سيرته وفكره، فقسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث؛ وجاءت على النحو الآتي:

- المبحث الأول: السيرة الذاتية للإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

- المبحث الثاني: جهاد الإمام ومحنه.

- المبحث الثالث: منهج الإمام ابن تيمية الفكري

وإني لأرجو من الله التوفيق والسداد، في سبيل تقديم مادة علمية مفيدة، وهو تعالى المستعان على كل خير.

المبحث الأول: السيرة الذاتية للإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى

المطلب الأول: الجانب الشخصي من حياة الإمام ابن تيمية:

اسمه: الإمام تقي الدين أبو العباس المعروف (بابن تيمية)، واسمه الكامل هو: أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن الخضر بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله الحداني الحنبلي. ⁽¹⁾

جده: أبو البركات مجد الدين من أئمة المذهب الحنبلي، وعلى درجة كبيرة من العلم والاجتهاد، ولذا فقد دعي بـ (المجتهد المطلق) ⁽²⁾.

والده: الشيخ شهاب الدين عبدالحليم بن تيمية، وهو عالم محدث وفقه حنبلي، وصاحب تدريس وإفتاء. ⁽³⁾

ويقال أن أسرة (ابن تيمية) قد أخذت هذه التسمية، منذ عهد جده الأكبر محمد بن الخضر، فيذكر أن تيمية كان اسماً لأُم محمد بن الخضر وقد كانت واعظة، ومن هنا انتمت هذه الأسرة إليه ⁽⁴⁾.

نشأته:

ولد الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بمدينة حران، يوم الاثنين في العاشر من ربيع الأول عام 661هـ. وكانت ولادته في أسرة دينية، عرفت بنزعتها إلى الورع والتقوى، وحرصها على التزود من علوم الفقه والدين وتتابع المعرفة الحقة، والعلم الصحيح، فوالده فقيه كبير، جلس للتدريس والإفتاء وصار شيخاً لبلدة - حران -، وأما جده فقد جمع الفقه والعلم والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الأخرى، حتى لقد قيل عنه من قبل أناس غير حفيده: (ألين للشيخ الجد الفقه، كما ألين الحديد لداود).

وإذا تجاوزنا أباه وجده إلى غيرهما من أعضاء أسرته - أسرة ابن تيمية - نجد أن كثيرين منهم، كان له مقامه الجليل في ميادين العلم والمعرفة، وسيرهم مذكورة في كتب الرجال، ومنهم أخو الإمام ابن تيمية، واسمه شرف الدين عبدالله بن عبدالحليم. والذي كانت ولادته في سنة (696هـ) إلا أنه لم يعمّر طويلاً فقد توفي في سنة (727هـ) وقد عُرف شرف الدين بالبداعة في الرياضيات والفرائض وعلم الحديث، كما عرف بالتقوى والورع هذه هي أسرة الإمام ابن تيمية بصورة مختصرة، فنشأة الإمام في ظل هذه الأسرة كانت سبباً قوياً بعد فضل الله عليه أن يصل إلى ما وصل إليه من العلم والرفعة ⁽⁵⁾.

عاش الإمام ابن تيمية في كنف والده وتحت رعايته ثم رحل بعدها في عام (667هـ) مع أبيه وإخوته إلى دمشق، وتزامن ذلك مع قدوم جيوش التتار إلى الشام، فكادت أسرة ابن تيمية أن تصاب بالأذى العظيم لولا عناية الله سبحانه وتعالى، إلا أن هذه الأحداث كانت بمثابة المقدمة التي تمهد للإمام ابن تيمية لكي يأخذ دوره في المجتمع آنذاك كمصلح اجتماعي عظيم، وكداعية لدعوة التوحيد، يريد أن يعيد الإسلام لعقائده ومبادئه الصافية، ويقضي في المقابل على كل الخرافات والبدع.

وفي دمشق - إحدى مراكز العلوم والمعارف الكبيرة في ذلك الوقت - نما ابن تيمية، ومضى في ركاب العلم، فدرس وأكب على تحصيل العلم، فحفظ القرآن والحديث وعلوم اللغة وآدابها ونحوها، ثم اتجه بعدها إلى دراسة الأحكام الفقهية والعلوم الدينية، عن طريق البحث والتنقيب، وكانت وجهته في ذلك علماء عصره، ومفكري زمانه، فكان أبوه أحد هؤلاء الذين ساهموا بتعليمه وتثقيفه .

لقد استمع ابن تيمية إلى مناقشات العلماء وآراء الآباء، ومساجلات الفقهاء، كما قرأ دواوين الإسلام الكبار، مثل: صحيح البخاري ومسلم وغيرها من كتب السنة الصحيحة والمؤلفات الفقهية . كل هذه الظروف مع ما عرف من ذكاء الإمام أحمد بن تيمية وفطنته قد هيا للإمام ابن تيمية أن يصبح واحداً من كبار أهل العلم في عصره⁽⁶⁾ .

سمات عصر الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى :

لقد كان للعصر الذي عاش فيه ابن تيمية أكبر الأثر في شخصيته - رحمه الله تعالى - إذ امتاز عصره بعدة أمور نذكرها مقسمة على النحو التالي:

الحالة السياسية :

وصل السوء في الحالة السياسية إلى أقصى حدوده، فقد انقسم المسلمون إلى عدة دويلات وممالك، ينظر كل منهم للآخر نظرة العدو المفترس، وفي المقابل نلاحظ ذلك التحول الكبير الذي يحدث في تلك الفترة في نوع العلاقة التي تربط الحاكم برعيته، ليحل التجبر والظلم محل العدل والرحمة⁽⁷⁾ .

فمما يذكر عن تلك الفترة من عمر الأمة الإسلامية، كثرة اعتماد الخلفاء العباسيين على الأتراك والسلاجقة، وليس هذا فحسب بل اتخذهم جنداً لهم بدلاً من العرب والموالي، ومن هنا أخذت مقاليد الأمور تفلت من يد الخلفاء العرب، وتنتقل بالتدريج إلى يد الرحلاء على الأمة الإسلامية، والطارئين على حكم بلادهم فكانت السيادة الاسمية والفعلية أحياناً للخلافة الإسلامية، وفي أغلب الأحيان كانت السيادة الفعلية، والحكم النافذ لهؤلاء الطارئین والدخلاء أمثال:

بني بويه الديلمة الذين حكموا مصر (334 - 447هـ) ثم الأتراك السلاجقة الذين حكموا من (447 - 590هـ) فعمل هؤلاء الأجانب على الاستئثار بالسلطة، حتى تحكموا في الخلافة وأمورها، بل في حياة الخلفاء أنفسهم حتى أصبح الخليفة لا يملك من أمره شيئاً فكانت له السيادة الاسمية دون الفعلية .

وكان من نتائج هذا الضعف والتمزق أيضاً، أن تعرضت البلاد لحدثين عظيمين، عاصرهما الشيخ ابن تيمية واستحوذ كل منهما على جانب كبير من جهاده الحربي والسياسي، كما كان لهذين الحدثين أثرهما الكبير في مصر والشام من الناحيتين السياسية والاجتماعية .

هذان الحدثان الخطيران هما: ظهور التتار، وزحفهم إلى الشام ومصر، وخطر زحف الفرنج إلى هذين الإقليمين⁽⁸⁾. فهذه صورة سريعة توضح لنا الحياة السياسية في عصر الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

الحالة الاجتماعية والدينية:

(امتاز المجتمع الذي عاش فيه الإمام ابن تيمية، بأنه مجتمع متعدد الأجناس والطبقات، ليسوا جميعاً من جنس واحد، ولا يربطهم مذهب واحد ولا تجمعهم عقيدة واحدة، ولا تمسكهم عادات وتقاليد واحدة لها أسس وغايات مشتركة، بل كان مجتمعاً متنافراً، بعيداً عن التآلف فكان كل جنس من أجناس المجتمع يعمل لنفسه ولعقيدته، ولتقاليده، ولعاداته التي توارثها من إقليمه وبيئته، لكنهم رغم هذا التنوع كانوا يجتمعون ساعة الخطر للدفاع عن الأرض التي تقلهم والديار التي تؤويهم، والتي ينعمون بخيراتها .

إلا أن هذه الاختلافات بين أفراد المجتمع - فكل فئة منهم لها عقيدتها وعاداتها التي تحكمها - لا شك أنها قد أثرت في المجتمع لتجعل منه مجتمعاً مضطرباً وممزوزاً، وقد انعكس ذلك على الحياة السياسية والقضائية⁽⁹⁾.

(وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، فقد كان من الأمور التي أحدثت خللاً في الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ما شهده المجتمع من كوارث اجتماعية، كالريح التي أغرقت مائتي مركب في النيل، وهلك فيها الكثير من الخلق، وكذلك ما أصاب أهل الشام من جراء ذلك في

صاعقة أهلكت الثمار، ومما يذكر أيضاً ما كان في سنة (669هـ) إذ جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئاً وغرق بسببه ناس كثير.

وقد وصلت الأخبار بغلاء عظيم وفناء شديد، وانعدام الأقوات بين الناس في ذلك العصر، ففي ظل هذه الظروف الاجتماعية، عاش الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وبالنسبة للأحوال الدينية فلم تكن أسعد حظاً من سابقها في عصره. إذ وقعت في هذا العصر محن أخرى في العقيدة ففي سنة (716هـ) وقع بين الحنابلة والشافعية تصادم بسبب العقائد، وترافعوا إلى دمشق فحضرها بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكز فأصلح بينهم، وفي سنة (717هـ) حدثت أيضاً فتنة، ولكنها هذه المرة فتنة من نوع آخر، إذ ظهرت في هذه المرحلة، فرقة النصيرية⁽¹⁰⁾.

بالإضافة إلى عدد آخر من الفرق التي ساهمت بظهورها خلال تلك الفترة بتضخم الفتنة، ليؤدي هذا كله إلى قيام صراع بينها وبين الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الحالة العلمية والفكرية:

(اتسعت الدراسات في القرن السادس والسابع والثامن من الهجرة وتعددت في هذه الفترة مناهج العلماء فنجد منهم من اهتم بالفقه والتفسير والنحو والعقائد، وكان بجوار هؤلاء فلاسفة مسلمون، ومن وراء هؤلاء المتصوفة).

ومن الأمور التي اتسمت بها الدراسات في عهد ابن تيمية، ما غلب عليها من التحيز الفكري فكل له إمام يتبعه في الفقه وفي العقيدة. ليكون التعصب الفكري محل خلاف بين ابن تيمية وبين غيره، ليصل الحال ببعض العلماء المعاصرين لابن تيمية بأن يتبعوا الرجال على أسمائهم، بينما ابن تيمية يتبع الدليل أنى يكون ولا يتبع الرجال ولا شك أن ابن تيمية قد امتاز عن غيره في هذا العصر بقوة في الحجة.

رغم ما عرفت به هذه العصور من كثرة العلماء، وانتشار في المعلومات إلا أن ذلك لم يكن حائلاً دون حدوث التعصب وانتشاره في المجتمع الإسلامي، هذا التعصب الذي كان في الغالب يصور عن غير فهم دقيق، رغم ما تيسر كما قلنا سابقاً لطلاب العلم من وسائل العلم والتعلم، لا سيما مع قيام المدارس الخاصة بالفقه والحديث والتفسير وانتشار الكتب بين

أيدي الناس وهذا كله قد شجع الإمام ابن تيمية على الدراسة الدقيقة والفهم العميق لمواضيع العلم، ليخرج بنفسه من دائرة التقليد المغلقة التي حبس العلماء بها أنفسهم، إلى دائرة الاجتهاد بإصدار الآراء الحرة الناتجة منه عن فهم دقيق الأمور⁽¹¹⁾.

المطلب الثاني: الجانب العلمي من حياة الإمام ابن تيمية؛

ذكرنا سابقاً أن الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قد نشأ في أسرة علمية، اتجهت به إلى العلم منذ صغره، لا سيما وأن عائلته قد عرفت بشغفها بالعلم أباً عن جد، وهذا ما شكل العامل الأول لكي يجتهد بالإضافة إلى ما اجتمع عنده من الأسباب التي أدت به إلى مزيد من الاجتهاد، والتي كان من بينها ما تمتع به الإمام من الحافظة الواعية المدركة، وليس هذا فحسب بل ما عُرف عن الإمام من الجد والاجتهاد والانصراف للعلم، وتركه للهو مع الصبيان. مع ما متعه الله تعالى به من الفصاحة والبيان، فقد كان خطيباً وكاتباً لا يشق له غبار. إلا أن الأهم من بين تلك الأسباب، ما تمتع به الإمام من استقلالية في الفكر، فلا يقول بالشيء إلا إذا صح عنده الدليل.

إن ما تمتعت به أسرة ابن تيمية من الالتزام بشرع الله، جعلها تتعرض للكثير من الصعوبات بسبب اضطهاد التتار لها، فقد فر أبوه -كما قلنا سابقاً- بهم من حران إلى دمشق، حيث ترعرع الإمام ابن تيمية وكبر جامعاً لحفظ القرآن الكريم سنة النبي (عليه الصلاة والسلام) وعلوم اللغة وغيرها⁽¹²⁾.

أساتذته :

لقد تلقى ابن تيمية العلم على يد والده أولاً، إذ أنه قد كان لوالده كرسي يتحدث عليه في جامع دمشق، وقد ولي عبد الحليم أيضاً مشيخة دار الحديث، فسار ابن تيمية في دراسته تحت ظل والده الذي لازمه فترة طويلة، عادت عليه بالمحصلة بنتائج عظيمة.

ولم يقتصر ابن تيمية في العلم على والده 'بل لقد حضر لعلّي زين الدين أحمد بن عبد الدايم، ونجم الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، كما سمع الحديث من الشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب بن المقداد، وابن أبي الخير، وزينب بنت مكي، وغير ذلك كثير.

ومن أساتذته في الفقه: الفقيه نور الدين علي بن عبد البصير المالكي، كما تلقى العلم على يد القاضي جمال الدين القزويني، فمن خلال ذلك العرض السريع نلاحظ كثرة شيوخ الإمام ابن تيمية، وهذا لا شك مما قد أثر فيه بروح طيبة ⁽¹³⁾ ..

توليه التدريس:

اتسعت آفاق دراسة ابن تيمية، وكانت دراساته مستوعبة في الفقه والحديث والعقائد وعلوم العربية، وكان له اطلاع على العلوم الرياضية والفلسفة، فأتم دراسته ولم يبلغ العشرين من عمره، ولما اكتملت رجولته وامتأ قلبه بالعلم والمعرفة، توفي والده في سنة (682هـ)، وكان ابن تيمية في الحادية والعشرين من عمره، وإذا كان كثير من الشباب في مثل هذه السن لا يزال في رياحين الصبا، فعلى العكس نجد ابن تيمية في هذا السن قد تهيأ ليكون إماماً وشيخاً يشهد له في كل فن من الفنون، لذلك نراه بعد وفاة والده قد جلس مكان أبيه للتدريس وهو في هذه السن، فأخذ يلقي العلم على طلاب المعرفة، شارحاً لهم ما تعلم من معارف السابقين، فخلف والده في تدريس الفقه الحنبلي، وأخذ يلقي الدرس مستعيناً بالله تعالى وذلك في يوم الاثنين ثاني محرم من سنة (682هـ) بدار الحديث بالسكرية، وحضر عنده تلاميذ نجباء، فأطنب الحاضرون في شكره والتحدث عن سعة علمه رغم صغر سنه، لتنتقل بعد ذلك أخباره مع الركبان، وينتشر ذكره في البلاد .

أقسام الدروس عند ابن تيمية:

لقد قسم الإمام دروسه إلى قسمين، وهما:

(1) دروس للخاصة يذاكر فيها معهم الحقائق التي انتهى إلى تحقيقها .

(2) دروس للعامة يعظ فيها العوام ويرشدهم ⁽¹⁴⁾ .

تلاميذ الإمام ابن تيمية:

(لم يعرف أحد في عصر الإمام ابن تيمية، بكثرة التلاميذ كما كان لابن تيمية، وقد ساعد في ذلك كثرة تنقله ما بين مصر والشام وفيما يلي ذكر لأهم وأبرز تلاميذ الإمام:

تلاميذ الإمام النجباء:

- 1- الحافظ بن قيم الجوزية .
 - 2- ابن عبد الهادي .
 - 3- عماد الدين أبو الغراء المعروف (ابن كثير) .
 - 4- الحافظ بن رجب ⁽¹⁵⁾ . .
- وقد ذكر أيضا في بعض المصادر أسماء أخرى لأناس تتلمذوا على يد الإمام ابن تيمية ومنهم:

- 1- قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي الشافعي .
 - 2- الشيخ تاج الدين الغزالي شيخ الشافعية .
 - 3- الشيخ زين الدين ابن المرحل .
 - 4- زين الدين بن المنجا الحنبلي .
 - 5- علاء الجين ابن المظفر بن إبراهيم .
 - 6- الفقيه الناسك شرف الدين المعروف بابن النجيج .
 - 7- شرف الدين أبو عبدالله .
 - 8- شمس الدين الأصبهاني .
 - 9- الشيخ عبدالله بن موسى الجذري .
 - 10- محمد بن علي الحلبي .
 - 11- ومن النساء - أم زينب - فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح ⁽¹⁶⁾ .
- أصول الفقه عند الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ⁽¹⁷⁾ .

لم يكن ابن تيمية صاحب مذهب معين في الفقه، كما فعل غيره من الأئمة، ولكنه كان مجتهداً، ومع اجتهاده كان يأخذ لمذهب الإمام أحمد بن حنبل في جملة ما يأخذ في الفقه ولما كان الإمام أحمد بن حنبل رجل نص وأثر، فكذلك كان الإمام أحمد بن تيمية، وفيما يلي عرض لأصول الفقه عند الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

1- **الكتاب:** من المتفق عليه بين أهل العلم جميعاً، اعتماد القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي

2- **السنة النبوية:** المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وبالنسبة لابن تيمية هنالك ثلاث أنواع من السنة وهي:

أ) **السنة المتواترة:** وبالجمله هي التي تفسر القرآن ولا تخالف ظاهرة .

ب) **النوع الثاني:** وهو الذي لم يأت بتفسير القرآن، ولم يخالف ظاهرة أحكام جديدة: مثل تقدير نصاب السرقة وغيرها وهذا النوع قد جاء متمماً للتشريعات التي جاء بها القرآن الكريم .

ج) **السنة الأحاد:** وهي عبارة عن الأحاديث التي وصلت إلينا بطرق فقدت حد التواتر، وخلاصة القول فيها عند ابن تيمية الأخذ بها متى ثبت له صحتها، امثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]

3- **الإجماع:** يأتي الإجماع كمصدر من مصادر التشريع بعد نصوص الكتاب والسنة والإجماع: هو ما كان عليه الصحابة بعد زمن الرسول (عليه الصلاة والسلام) دون غيرهم، والحكم بصورة عامة في الإجماع عند ابن تيمية هو الصحة لذلك نراه يقول: " أن السنة لا تنسخ الكتاب، وأن السنة لا ينسخها إجماع، وأن الإجماع الصحيح لا يعارض كتاباً ولا سنة".

4- **القياس:** تأتي مرتبة القياس بعد الإجماع في ترتيب الأصول وخلاصة قول الإمام ابن تيمية في القياس هو قول القياس الصحيح الذي يطابق النص ويوافق الأحكام الشرعية المستنبطة من أفعال الصحابة التي أقرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وما عداها فهو مرفوض غير مقبول⁽¹⁸⁾.

5- **الاستصحاب:** يعد هذا الأصل حجة عند الإمام ابن تيمية، ومعنى هذا الأصل أنه إذا سئل المجتهد في أمر جد في زمنه ولم يجد نصاً من الكتاب والسنة، أو دليلاً شرعياً آخريين حكمه الشرعي بالإباحة أو التحريم، عليه أن يحكم بأنه مباح، مؤسساً فتواه على (أن الأصل في الأشياء الإباحة) إلا ما حرم شرعاً، وهذه الإباحة هي الحالة التي خلق الله عليها ما في الأرض جميعاً، فإنه من المعلوم أن الحالة القائمة وإذا لم يقدّم دليل على تفسيرها، فإن الحكم يجب أن يكون قائماً فيها على الإباحة الأصلية . فإن المالك لشيء ما يظل مالاً له، وتعتبر ملكيته قائمة له بدليل

الاستصحاب، فإذا تغير الحال وجدَّ ما يثبت زوال ملكيته لهذا الشيء زالت هذه الملكية، لأن الأصل، بقاء الشيء على ما كان، حتى يثبت ما ينهض على تفسيره⁽¹⁹⁾.

6- **المصالح المرسلة**؛ وهي ثالث الأمور التي تناولها الشرع بالحكم فيها وهذه الأمور الثلاثة هي:

أ- أمر اعتبره الشارع .

ب- أمر ألغاه الشارع .

ت- أمر لا يعلم إن كان الشارع اعتبره أو ألغاه .

والمصالح المرسلة هي هذا القسم الثالث، أي أنه الأمر الذي لا يشهد له أصل من أصول الشريعة الإسلامية بالاعتبار ولا بالإلغاء، وإذا فإن كل مصلحة غير مقيدة بنص من الشارع يدعو إلى اعتبارهم أو عدم اعتبارها ويرى الفقيه أو الباحث أن فيها جلب مصلحة أو رفع مضره يجب أن يؤخذ بها⁽²⁰⁾.

• من مؤلفات الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: ⁽²¹⁾

ترك الإمام ابن تيمية وراءه الكثير من المؤلفات البالغة الأهمية نذكر منها:

اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أهل الجحيم.	التخجيل لمن بدل التوراة والإنجيل.
السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.	الصارم المسلول على شاتم الرسول.
الفتاوى .	بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.
تعارض العقل والنقل .	شمول النفوس لأحكام الفقه المنصوص.
منهاج السنة في نقص كلام الشيعة والقدرية.	

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في مجال الفقه والتفسير وغيرها من العلوم، لا يتسع المجال لذكرها كاملة .

المبحث الثاني: جهاد الإمام، ومجته

رسم لنا الإمام ابن تيمية من خلال دفاعه المستمر عن بلاد المسلمين، صورة من صور الجهاد الإنساني، وفيما يلي توضيح لإحدى مواقف الإمام رحمه الله تعالى:

المطلب الأول: جهاد الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(كان شيخ الإسلام أحمد بن تيمية من المشتغلين في حفل العلوم الإسلامية، ومن العاملين في ميدان الجهاد للدفاع عن الديار الإسلامية، صد أعدائها من التتار والإفرنج وكان ظهور التتار في ذلك العصر من أشد الأخطار على الأمة الإسلامية، فقد عاثوا في ديار الإسلام فساداً وقتلاً وتخريباً، وابتليت بهم بغداد فخرّبوا وقتلوا أهلها، وفعلوا بهم الفظائع .

وبعد أن دمرت بغداد واصلوا زحفهم إلى دمشق للاستيلاء عليها، وكان الرعب قد سبقهم إليها، واضطر أكثر الناس إلى الهرب، تاركين البلاد ينيها العدو، فلم يبق بدمشق من يواجه التتار سوى عدد قليل من العلماء، وعلى رأسهم الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ولم يتردد الإمام في أن يكون في طليعة المجاهدين ضد التتار بنفسه، وليس هذا فحسب أخذ يحث الناس على الجهاد في سبيل الله تعالى، ويحرضهم على قتال الأعداء .

أمر الإمام أتباعه أن يقوموا بحراسة مداخل المدينة، ثم طاف بالعاملين في تجارة السلاح، لحثهم على أن يعطوا السلاح لمن يريده، وقد وقف الناس من حوله على أبواب دمشق وحالوا بينها وبين دخول الأعداء . بحث الإمام عن الفقهاء والأعيان والأمراء، ومن بيدهم الأمر فوجدهم خارج دمشق، وكانوا من قبل قد ناصروه العداء، ثم أرسل الأمر إلى قائد القلعة يطلب منه عدم الاستسلام للتتار. وقرر الشيخ بمن بقي معه من الرجال الدفاع عن دمشق .

وتذكر الأخبار التاريخية أنه قد سعى الإمام ابن تيمية، بعدها إلى لقاء قازان - قائد التتار - عسى أن يكشف الله عن المدينة بأسهم . فألقى الله المهابة والخوف على قازان - سلطان التتار - واستمع إلى مطالب الإمام، وقد أعجب بشجاعته وجراته وثباته، وما زال به الإمام حتى وعده بالعدول عن الهجوم عن الشام .

سافر بعدها الإمام ابن تيمية إلى مصر ليطلب من السلطان الناصر محمد بن قلاوون، صاحب مصر والشام أن يهب لنجدة أهل الشام وعاد بعدها الإمام إلى دمشق، وأمن الناس

وحمل إليهم ما وعده به ملك التتار، من أنه لن يدخل دمشق، وبذلك هدأت عاصفة هجوم الأعداء⁽²²⁾.

(إلا أن الأعداء التتار عادوا ليستعدوا للحرب، ويحشدوا لها ما يلزمها من عتاد ورجال لذلك تقابل الإمام - ابن تيمية - رحمه الله تعالى - مع سلطان مصر، وطلب منه أن يستعد لملاقاة التتار، واقتنع السلطان برأي الإمام، وأخذ بعد العدة لملاقاة التتار وواصل الإمام دروسه، في تشجيع الناس وحثهم على الجهاد، وفشلت جميع المكائد التي كادها خصومه لدى نائب السلطان في دمشق واستمر الشيخ في جهاده لجمع كلمة الناس من أجل محاربة المعتدين التتار، وفضح الفرق المنحرفة التي تحالفت مع التتار وعلى رأسهم الباطنية التي تعاون أتباعها مع التتار ضد الإسلام والمسلمين .

حدثت المعركة الفاصلة بين جيش المسلمين وجيش التتار، لتنتهي بنصر المسلمين وهزيمة التتار هزيمة ساحقة، قتل فيها الكثير منهم وأسر منهم الآلاف. ولقد كان للإمام الأثر الكبير؛ إذ قد جعله الله تعالى سبباً بارزاً من أسباب النصر.

رحم الله الإمام الذي ما بخل بشيء في سبيل محاربة أعداء الدين، والعقائد الفاسدة والخرافات⁽²³⁾.

المطلب الثاني: محن الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

تعرض الإمام ابن تيمية للكثير من المحن والابتلاءات في حياته، نذكر من أهمها:

المحنة الأولى: (جاءت الإمام فتوى من بعض أهل حماة، وهي المعروفة بـ (الفتوى الحموية) يستفتونه فيها عن بعض صفات الله تعالى، وهي تدور حول آيات الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه، الآية: 5]، وقوله تعالى: ﴿جَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر، الآية: 22]، وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح، الآية: 10]، وهل هذه الآيات تدل حقاً على أنه استوى على عرشه، وأن له يداً، وكل هذه الآيات تعطي معنى التشبيه والتجسيم؟ أم يجب تأويل الأولي بأن المراد بها (أنه استولى على العرش)، والمراد بالثانية (جاء أمرنا)، والمراد بالثالثة (أن قدرته فوق قدره البشر جميعاً).

فأجاب الشيخ على الفتوى بما يؤمن به، فوضح أنه يجب علينا أن نؤمن بما جاء في القرآن من هذه الصفات دون تأويل، لأن تأويلي وبيان المراد منها يعد أمراً فوق طاقتنا، وينبغي في نفس الوقت تنزيه الله، بعدم تشبيهه الله ببعض مخلوقاته .

لكن خصومه كانوا يرون غير ذلك، إذ أنهم يقولون بالتأويل في مجال صفات الله تعالى، لمنع التجسيم في حق الله سبحانه وتعالى، ولتحقيق هذا الأمر نجدهم قالوا بتأويلات فاسدة لهذه الآيات لهذا ثاروا على الإمام، وتحزبوا ضده، وموه بالتجسيم، وقام جماعة منهم بدعوته إلى مجلس القاضي الحنفي جلال الدين، لكنه رفض الحضور إلى ذلك المجلس، فشنعوا عليه، إلا أن أحد الأمراء قد انتصر له، وأرسل يطلب من قاموا ضده فاخفى الكثيرون منهم، كما ضرب بعض من ثاروا عليه في البلد فسكت الباقون، وسكتت الفتنة ثم اجتمع القاضي إمام الدين بالشيخ عما سألون فيه بأحاديث مقلعه، فأقتنع أهل الحق من الحاضرين بما سمعوا منه من الحق، وقالوا: هذا معتقد سلفي جيد - وأرسل المجلس بذلك قراراً إلى السلطان، وكان ذلك بمثابة النصر ولتنتهي هذه المحنة بسلام⁽²⁴⁾ .

المحنة الثانية: (عاد خصوم ابن تيمية للكيد له، واستطاعوا أن يجعلوا السلطان يسأله عن معتقده، فجمع نائب السلطان: القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ، ويسأله عن معتقده فقرأ عليهم (العقيدة الواسطية) التي جاء فيها كلاماً من أهالي واسط ورد عليها، فقرأها الشيخ، فناقشوه وانتهى الأمر إلى: أن عقيدة الشيخ سنة سلفية، ويقال أن بعضهم أقر العقيدة كرهاً، وبعضهم وافق عليها باقتناع وإيمان .

تجددت خصومة وكرهية الشيخ عند أعدائه، لا سيما وأن الشيخ ابن تيمية كان يهاجم الطرق الصوفية وسلوكهم في العبادة، ومن هذه الطرق: الطريقة الأحمدية فقد هاجم الشيخ هذه الطريقة، وكذب مزاعمهم حين يدعون: أنهم يدخلون النار دون أن تمسهم ويزعمون أن هذه كرامات لهم، كما هاجم عقيدة الاتحاد والحلول التي نادى بها الحلاج .

حضر جماعة منهم إلى نائب السلطنة يشكون ليوقف هجومه عليهم، وعلى مزاعمهم، ويجب الشيخ في جراه وإيمان (هذا لا يمكن، ولا بد لكل واحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة

قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً الحمام ويغسل جسده جيداً، ثم يدخل إلى النار، بعد ذلك إن كان صادقاً⁽²⁵⁾.

ثم انتهى النقاش بأن من خالف أحداً من رجال هذه الطريقة الكتاب والسنة تضرب عنقه، فكان هذا القرار بمثابة الانتصار الكبير للإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - .

المحنة الثالثة: تعود الفتنة للظهور من جديد بشأن عقيدة الإمام ابن تيمية ويطلبه السلطان ليحضر إلى القاهرة لسؤاله عما يتحدث به، وسافر ابن تيمية تلبية لطلب السلطان، وعقد له غداة يوم وصوله مجلس بالقلعة حضره القضاة وأكاتب الدولة، ثم أخذوا في التحقيق معه وسؤاله، وسأل شمس الدين بن عدنان (المدعي العام) بأنه يعتقد أن الله على العرش حقيقة، وأن يشار إليه بالإشارة الحسية، وأنه يتكلم بحرف وصوت، وطلب المدعين أن يعتذر ابن تيمية على ذلك، وعقد له مجلساً لمحاكمته، فسأله القاضي ابن مخلوف ماذا تقول يا فقيه ؟ فأخذ الشيخ - رحمه الله تعالى - في حمد الله والثناء عليه، ثم قال للحضور (من هو الحاكم في ؟ فأشاروا القاضي هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمي فكيف تحكم فيّ وغضب فغضبوا عليه . فخرج من المجالس محبوباً في برج، حتى محبوبه وأنصاره من الحنابلة في مصر والشام، لم يسلموا من الأذى والبطش والحبس، وأخذ على بعضهم تعهد بالرجوع، عن عقيدة الشيخ التي حوكم بسببها هو، فأخوه شرف الدين كما جرت فتن كثيرة بهذا السبب، وعلى أثر هذه القضية لبث الشيخ في السجن مدة من الزمن قدرت بسنة وبضعة أشهر، عرضوا من خلال مدة الحبس عليه أن يرجع عن عقيدته ويفرجوا عنه فرفض وثم جاء حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب في ربيع الأول من سنة (707هـ) وأخرج الشيخ بنفسه من السجن بعد أن استأذن في ذلك، وعقدت له مجالس حضرها أكابر الفقهاء فصمم الشيخ على موقفه، وتجرى نائب السلطنة والفقهاء والقضاة في أمره . وبعد أن خرج ابن تيمية من سجنه عاد مرة أخرى لإعطاء الدروس والمعرفة للناس . إلا أن أعدائه لم يتركوه بحاله لذلك تعدم بعضهم بشكوى أمام الحاكم - القاضي - جاء فيها رفضهم لرأي ابن تيمية وما يقوم به من تشنيع على رجال التصوف عندهم كابن عزمي وتشنيعه على ما قالوا له من عقيدة (وحدة الوجود) .

اجتمع بعض الفقهاء والعلماء لمناقشة ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وبعد سماعهم الكلام الشيخ حكموا أنه لا يوجد في كلامه ما يضر، لذلك حكموا ببراءته، بهذا الحكم ينتصر ابن تيمية مرة أخرى على خصومه إلا أن الدولة رأت أن آراء ابن تيمية قد أصبحت مصدر قلق للدولة لذلك خيرته

الملك المظفر أركان الدين بيبرس الجاشنكير، بين الإقامة في الإسكندرية أو دمشق بشروط معينة، يلتزم بها أو الحبس وإلا أن شيخنا قد أختار الحبس، إلا أن إيداع الشيخ السجن لم يضعفه بل استمر في أقواله ما نشر علمه أكثر بين الناس، حتى شكاه بعض وطالبوا بنفيه إلى الإسكندرية، وفعلاً نقل إلى سجن آخر في الإسكندرية وحتى بعد هذا النفي لم يتركه خصومه، بل سعوا إلى نشر الأباطيل عنه، بقولهم أنه مات، ومرة أنه قتل، ولكن هذا الشيء، لم يضعف ابن تيمية أبداً. ثم حدث أن قدم السلطان الملك الناصر إلى السلطنة وأمر بإحضار الشيخ على القاهرة في سنة (709هـ)، وقد أكرمه إكراماً كبيراً، واجتمع به في مجلس ضم القضاة من مصر والشام وأعيان الدولة، ثم استشارة في خصومه ليأخذ بثأره منهم، لكن الشيخ رفض، ثم عاد ابن تيمية لتعليم الناس مرة أخرى. قرر بعدها ابن تيمية العودة إلى دمشق بعد غيبة عنها سبع سنين، وفي دمشق واصل نشر دعوة ربه.

وبينما ابن تيمية في أحد مجالس العلم، سئل الشيخ عن الفرق بين الحلف والطلاق، فقال العلماء عن الحلف.

- الإيمان:

- (1) ما ليس من إيمان المسلمين، وهو الحلف بالمخلوقات، فمثل هذه اليمين غير منعقدة ولا كفارة فيها باتفاق المسلمين، بل هي منهي عنها .
- (2) اليمين بالله كقولنا: والله لأفعلن، فهذه اليمين منعقدة، وفيها كفارة باتفاق المسلمين، إذا حنث فيها صاحبها .
- (3) وإيمان المسلمين التي هي في معنى الحلف بالله المقصود منها تعظيم الخالق لا الحلف بالمخلوقات كالحلف بالنذر، والطلاق وغيرها .

إن إجابة الشيخ السابقة الذكر وتفرق بين الحلف بالله، وهو جائز بالاتفاق، وبين الحلف بالمخلوق ويدخل في نطاق هذا الحلف بالطلاق، وهذا غير جائز باتفاق أهل العلم ولأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد نهى المسلمين عنه، كانت هذه النقطة التي سببت المحنة الأخيرة في حياة الإمام، إذ اتجه خصومه إلى السلطان، وقد نجحوا في جعله يصدر مرسوم سلطاني سنة (718هـ) يقضي بمنع ابن تيمية من الفتوى وعقد لذلك مجلس ونودي بذلك في البلد ليكون الناس على بينه من أمورهم .

لكن هذا المرسوم لم يمنع ابن تيمية عن الجهر برأيه لكل من يسأله في مسألة الطلاق . واستمر على هذا حتى حبس بالقلعة خمسة أشهر وثمانية وعشرين يوماً، ثم أخرج من السجن، وعاد لعمله بين الناس، إلا أن الإمام عاد الجهر بأقوال حول قضية الإفتاء، بخصوص قضية الطلاق، وفي كل شكوى تقدم ضده يرعى إلى عقد مجلس يناقش فيه ابن تيمية ويمنع من الإفتاء⁽²⁶⁾.

سعى خصومه للقضاء عليه، فأشعلوا فتوى قديمة له في مسألة (شد الرحال إلى قبور الأولياء الصالحين) وأثاروا عليها فتنه بين الناس، لاسيما وأنهم يعلمون ما للأولياء من مكانه عند الناس، ثم أرسلوا للسلطان لكي يخبروه بخبر هذه الفتوى - التي يحرم فيها الشيخ شد الرحال إلى أي مسجد ما عدا ثلاثة وهي المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوي . علماً أن سبب رفض خصومه لهذه الفتوى نابع من أنهم يرون وجوب زيارة قبور الأولياء للتشفع بهم .

والذي زاد الأمر سوءاً ضده، أن خصومه قد نقلوا الفتوى وحرفوا فيها، لذلك وقعت الفتنة في سنة (726هـ)، ووقد رفع الأمر السلطان الذي أصدر أمراً باعتقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فأدخل ابن تيمية وأخوه شرف الدين وجماعة من تلاميذه السجن، إلا أن السجن لم يكن حائلاً بين الشيخ والكتابة، فعكف على التأليف، إلا أن خصومه لم يرضوا إلا بعد أن سعوا لحرمان الشيخ من الكتب والأوراق وأدوات الكتابة، وفعلاً قد تم لهم ذلك، إلا أن هذه الحالة لم تدم؛ إذ سرعان ما استرد صاحب الأمانة أمانته لتفيض نفس الشيخ إلى بارئها طيبة طاهرة⁽²⁷⁾.

المبحث الثالث: منهج الإمام ابن تيمية الفكري

سار الشيخ ابن تيمية في أرائه وعقيدته حسب منهج واحد، ولم يحد عنه لأنه آمن بهذا المنهج، فأتخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية نوراً يهتدي بهما في حياته، ومع اعتقاده بأنها أصول الفقه والتشريع، وأنهما تابع الاعتقاد والعبادة، نراه يعتقد كذلك في (الإجماع والقياس)، ويؤمن بهما، على أنهما من أصول الفقه، فنجد يردهما إلى الكتاب والسنة فكل أمر صحيح جاء في الإجماع لابد أن يوافق الكتاب والسنة، ويقول في رسالة له بشأن الإجماع، (وإن الإجماع - إجماع الأمة - حق)، فإنها لا تجتمع على ضلالة، وليس هذا فحسب بل يقر ابن تيمية بقبول القياس الصحيح الذي يوافق الكتاب والسنة، ولا يقول برفضهما.

إن تمسك ابن تيمية بالقرآن والسنة 'وأثار الصحابة والتابعين لهم، قد شكل منهجاً له، في عقائده وآرائه لم يجعله يهمل العقل، فنراه يحترم العقل، ويعرف له مكانته . مما لا ريب أن فهم كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) يحتاج إلى الفهم الواعي العميق، ليكون صاحبه قادراً على الغوص في معاني القرآن والسنة، وما صح من الإجماع، فيستنبط منها الحكم الشرعي الصحيح والأمر الإسلامي السليم، لذلك نص رحمه الله على قول المعتزلة في العقل، وتقديم له على الشرع، إلى درجة أن جعلوا العقل هو المتحكم بالنص، ليخرجوا نتيجة لأقوالهم هذه إلى القول بوجود التعارض بين العقل والشرع، والكثير من قضايا الشرع لا تتفق مع العقل، ولا يمكن العمل بما فيها إلا إذا تم تأويلها بما يناسب العقل، فنرى أن للأمام رأياً في التأويل بما يناسب عقيدة أهل السلف وفيما يلي بيان لذلك⁽²⁸⁾.

المطلب الأول: التأويل عند السلف:

كان الإمام ابن تيمية يرى أن التأويل عند السلف الصالح، يختلف عنه عند المتكلمين؛ فالتأويل عند السلف هو التفسير، وتوضيح المراد من نصوص القرآن والحديث. فالصحابه كانوا يؤولون القرآن، فيفسرونه ويتدبرونه، ويعلمون معانيه كما علمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يترك شيئاً من القرآن من غير بيان، ومن غير المعقول أن يقال: أن الرسول (عليه الصلاة والسلام)، لم يبلغ كل ما أنزله إليه ربه .

وهذا التفسير لأتباع السلف لمفهوم التأويل يخالف ما فهمه أتباع علم الكلام، بقولهم هو صرف اللفظ عن المعنى المدلول عليه، المفهوم عنه إلى معنى آخر يخالف ذلك، أي صرف اللفظ من معناه الظاهري إلى معنى آخر خفي، رغم أن هذا النوع إن وجد ففي بعض الآيات الكريمة التي بين معناها النبي (عليه الصلاة والسلام) ولا يسعنا إلا التوفيق عندها، فلا زيادة عليهما ولا نقصان⁽²⁹⁾.

المطلب الثاني: المنقول الصحيح ... والمعقول الصريح:

أكد بن تيمية من خلال آرائه على عدم وجود تعارض، ما بين المنقول الصحيح والمعقول الصريح، أي لا تعارض بين ما وصل إليه العقل السليم، وبين ما ثبت نقله عن رسول الله

(صلى الله عليه وسلم)، بطريق صحيح لا ريب فيه بل قد وصل به الحد لإفراد كتاب كامل حول هذه القضية، وسمه: (تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصحيح المعقول)، أثبت فيه بالدلائل وبكل تفصيل ألا تعارض بين المعقول والمنقول. فإن الأمور التي ثبتت صحتها بالكتاب والسنة والوحي والنبوة يصدقها العقل الكامل الصحيح، وظل العقل يؤيد النصوص والمنقولات على الدوام، وكلما يستخدم العقل والدقة والإمعان يوجد أنه يصدق هذه المنقولات، ويؤيدها⁽³⁰⁾.

لهذه القواعد الثابتة، السابقة الذكر استحق ابن تيمية أن يكون المرجع الأساس الأول لفهم أهل السنة والجماعة في زمانه، في مقابل ما وجده من الفرق الظاهرة، وقد أثر من ذلك قوله (يعدم تعارض العقل والنقل، وبالتالي لا حاجة لتأويل النص وفق قول أتباع الفرق التي جعلت من العقل أساساً لها، فمنهج الاستدلال عنده هو منهاج الكتاب والسنة فقط)، وفي رأيه في أكثر القضايا نقاشاً بين عامة الفرق، ألا وهي قضية صفات الله تعالى، ليكون خلاصة قوله فيها:

إن من الواجب علينا أن نؤمن بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه رسوله (عليه الصلاة والسلام) من غير تحريف أو تعطيل ولا تمثيل، مع وجوب الإيمان منا بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: 1] وبمثل هذه الكلمات، يلتحق ابن تيمية برأي أهل السلف ومنهم: مالك الأصبحي، صاحب المذهب المعروف، الذي قال عندما سئل عن استواء الله - (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه)⁽³¹⁾.

المطلب الثالث: رأي ابن تيمية في الفلسفة وعلم المنطق:

تحدث ابن تيمية عن علم المنطق، والفلسفة فانتهى بعد كلام كثير، وفي أكثر من مناسبة ورسالة، إلى التشنيع على هذا العلم والتحذير منه، وإلى التأكيد بأن كل من يمارسه وينظر فيه فهو فاسد النظر والمناظرة، كثير العجز عن تحقيق علمه وبيانه، وزاد في التشنيع على المقبلين على هذا العلم على هذا القدر أكثر من مرة.

وقد يستغرب البعض هذا القول في ضوء ما ثبت من استخدام ابن تيمية لبعض مصطلحات المناطقة. ولكن ذلك ليس مما ينكر عليه مع ما ثبت من سلامة اتجاهه، لا سيما

وأن العصر الذي عاش به - رحمه الله تعالى - عصر كثرت فيه الفرق والاتجاهات، فكان لابد لطالب العلم الجاد أن يكون محيطاً . ببعض المصطلحات على الأقل، ليستطيع الرد على أتباعها والفوز عليهم .⁽³²⁾

المطلب الرابع : رأي ابن تيمية في علم الكلام

اتخذ الإمام ابن تيمية موقفا قسطا من علم الكلام بين من حرم العمل بعلم الكلام، وبين من أباحه إباحة مطلقة، لينتهي رحمة الله تعالى بعد دراسة المواقف كاملة، إلا أن ممارسة علم الكلام ليس بدعة، والاعتماد عليه في الدفاع عن العقائد الإسلامية ليس محرما إذا لم يقصد به الاستدلال بالأدلة الفاسدة، أو تبني ما قد يكون من المقولات الباطنة، فإن الاستفادة من اصطلاحات الآخرين شيء لا مانع منه، كلما دعت إليه الحاجة، وبه ما لا يخالف الأصول عندنا⁽³³⁾ .

بمثل هذا الاتجاه الذي سار عليه الإمام ابن تيمية استطاع أن يقف في وجه عامة الانحرافات التي ظهرت في عصره سواء أكان الحديث عن تعظيم الأولياء أو زيارة القبور والاستشفاع بها، والتي انتشرت في عصره بشكل واسع لا سيما بعد ظهور الكثير من الفرق المنحرفة التي تشجع مثل هذه المظاهر وبالذات أتباع الفرقة الصوفية المنحرفة مما أدى إلى سوء العلاقة بينه وبين تلك الفرق، ليحاولوا بكل طريقة الخلاص منه رحمه الله تعالى، وقد عرضنا لبعض تلك المحاولات عند الحديث عن محنه رحمه الله تعالى .

وفاة الإمام ابن تيمية رحمه الله

تعرضنا سابقا للحديث عن محن الإمام رحمه الله تعالى فبعد أن سجن الإمام على أثر المحنة الثالثة التي ذكرناها بقي الإمام في سجنه صابرا محتسبا عند الله تعالى، لذلك نراه قد رأى من سجنه وقت الفراغ الذي يحتاجه للتفرغ للعبادة وقراءة القرآن الكريم.

وبعد طول صراع آن الوقت لتعود الأمانة إلى صاحبها، لتفيض روح الإمام ابن تيمية وهو في سجنه إلى بارئها، وكان ذلك في ليلة الاثنين العشرين من شهر ذي القعدة عام (728)⁽³⁴⁾ .

ومن تصارييف القدر أن الإمام رحمه الله تعالى قد ودع هذه الدنيا، ولم يترك وراءه ذرية؛ لأنه لم يتزوج حيث وجد في طلب العلم والدفاع عن الإسلام والمسلمين ما شغله عن الزواج فجزاه عن أمه الإسلام خير الجزاء .

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، وبعد هذا العرض لأحداث حياة هذا العالم، فإننا نخلص لبعض الأمور المهمة التي لا بد من التنبيه عليها:

- 1- ندرك ما تميز به علماء المسلمين من صبر وجلد في سبيل هذه الأمة وتحقيق نفعها.
 - 2- عرف الإمام ابن تيمية التأويل بأنه التفسير والتوضيح لمعاني كتاب الله تعالى.
 - 3- من أهم ما قال به ابن تيمية أنه لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول، بمعنى أنه لا تعارض بين ما وصل إليه العقل السليم وبين ما ثبت نقله عن النبي عليه الصلاة والسلام.
 - 4- لقد تميز الإمام ابن تيمية بموقفه من علم الكلام ما بين من حرم الاشتغال بهذا العلم وبين من أباحه إباحتها المطلقة، فكان أساس ما وصل إليه أن علم الكلام ليس بدعة إذا لم يقصد به الاستدلال بالأدلة الفاسدة أو تبني ما قد يكون باطلا.
 - 5- رغم تشنيع الإمام ابن تيمية على المناطقة وأهل الفلسفة إلا أن ذلك لم يمنعه من يتعلم شيئاً عن ذلك العلم ليكون قادراً على الرد على من عمل به
- وكلي رجاء من الله أن أكون قد وفقت في عرضي لهذا الموضوع، والله المستعان على كل خير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) الأهل، عبد العزيز، 1972م: شيخ الأمة أحمد بن حنبل، ط1، دار العلم للملايين، بيروت
- (2) البوطي، محمد، 1988م: السلفية مرحله زمنيه مباركة لا مذهب إسلامي، ط1، دار الفكر، دمشق
- (3) الجبني، مانع، 2003م: الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط1، دار الندوة، العالمية، الرياض
- (4) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن، 1977م: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط2، دار الأفاق الجديدة بيروت
- (5) حافظ، عبد السلام، 1969م: الإمام ابن تيمية، ط1، مكتبة مصطفى، البابي، مصر
- (6) حربي: محمد، 1977م: ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، ط1، عالم الكتب، بيروت

- (7) الدقر، عبد الغني، 1993م: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ط3، دار القلم، دمشق
- (8) الرومي: أحمد الجوار، 1978م: أحمد بن حنبل بين منحة الدين ومنحة الدنيا، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر
- (9) أبو زهرة: محمد، 1987م: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، دمشق
- (10) صادق: سعد، 1987م: شيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، دار اللواء، الرياض
- (11) عبيدات: محمود، 1998م: تاريخ الفرق وعقائدها، ط1، دار المكتبة الوطنية، بيروت
- (12) فؤاد، عبد الفتاح، 2002م: الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر.
- (13) محمد العبد، عبد اللطيف، 1982م: دراسات في فكر ابن تيمية، ط1، مكتبة النهضة، مصر
- (14) الندوي: أبو الحسن، 1983م: الحافظ أحمد بن تيمية، ط3، دار القلم، الكويت

الهوامش:

- 1- حافظ، عبد السلام، 1969م: الإمام ابن تيمية، ط1، مكتبة مصطفى، البابي، مصر، ص: 8. الدقر، عبد الغني، 1993م: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ط3، دار القلم، دمشق، ص: 37
- 2- محمد العبد، عبد اللطيف، 1982م: دراسات في فكر ابن تيمية، ط1، مكتبة النهضة، مصر، ص: 5.
- 3- محمد العبد، عبد اللطيف: دراسات في فكر ابن تيمية، ص: 5.
- 4- الندوي: أبو الحسن، 1983م: الحافظ أحمد بن تيمية، ط3، دار القلم، الكويت، ص: 34.
- 5- حافظ، عبد السلام، 1969م: الإمام ابن تيمية، ط1، مكتبة مصطفى، البابي، مصر، ص: 9، صادق: سعد، 1987م: شيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، دار اللواء، الرياض ص: 13 - ص: 14.
- 6- صادق سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 15- 16.
- 7- حربي: محمد، 1977م: ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، ط1، عالم الكتب، بيروت، ص: 46.
- 8- صادق: سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 17- 18.
- 9- صادق، سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 32. ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن، 1977م: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط2، دار الآفاق الجديدة بيروت، ص: 65.
- 10- حربي: ابن تيمية، ص: 47- 48.
- 11- حربي: ابن تيمية، ص: 49. الأهل، عبد العزيز، 1972م: شيخ الأمة أحمد بن حنبل، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ص: 46.
- 12- حربي: ابن تيمية، ص: 29- 30.
- 13- حربي: ابن تيمية، ص: 29- 30. وانظر: فؤاد، عبد الفتاح، 2002م: الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر
- 14- حربي: ابن تيمية، ص: 31- 33.

- 15- الندوي: الحافظ أحمد بن تيمية، ص: 315- ص: 339.
- 16- حربي: ابن تيمية، ص: 38- 39.
- 17- صادق، سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 127- ص: 130.
- 18- صادق: سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 131- ص: 135.
- 19- صادق: سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 131- ص: 135.
- 20- صادق: سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 131- ص: 135.
- 21- حربي: ابن تيمية، ص: 50- ص: 53 . الجهني، مانع، 2003م: الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط1، دار الندوة، العالمية، الرياض، ص: 72.
- 22- صادق، سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 49- ص: 65.
- 23- صادق: سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 57- ص: 94. الرومي: أحمد الجوار، 1978م: أحمد بن حنبل بين منحة الدين ومنحة الدنيا، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص: 61.
- 24- صادق، سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 208- ص: 210، حربي: ابن تيمية، ص: 32- 33.
- 25- صادق، سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 208- ص: 210، حربي: ابن تيمية، ص: 32- 33.
- 26- حربي: ابن تيمية، ص: 34 - ص: 35، صادق، سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 215- ص: 218.
- 27- صادق، سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 218- 219.
- 28- الندوي: الحافظ أحمد بن تيمية: ص: 289- 290 . أبو زهرة: محمد، 1987م: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، دمشق، ص: 67.
- 29- محمد العبد، عبداللطيف: دراسات في فكر ابن تيمية، ص: 93- 94.
- 30- صادق: سعد: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص: 100 . وانظر: عبيدات: محمود، 1998م: تاريخ الفرق وعقائدها، ط1، دار المكتبة الوطنية، بيروت.
- 31- الندوي: الحافظ أحمد بن تيمية، ص: 298.
- 32- البوطي، محمد، 1988م: السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، ط1، دار الفكر، دمشق، ص: 162.
- 33- البوطي: السلفية، ص: 162.
- 34- البوطي: السلفية، ص: 158- 159.